Al-Adab Journal **Vol. 68, No. 2, (June 2026)**
E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

The Yaruba State: Origin and Emergence

Alya Obaid Mousa Alkaabi
U20102455@sharjah.ac.ae
Asst. Prof. Badreyya Mohammed Salem Alhooleh Alshamsi, Ph.D.
Badreyya.alshamsi@sharjah.ac.ae
University of Sharjah - College of Arts, Humanities and Social Sciences - Department of History and Islamic Civilization

Copyright (c) 2026 **Alya Obaid Mousa Alkaabi, Asst. Prof. Badreyya Mohammed Salem Alhooleh Alshamsi (Ph.D.)**

DOI: https://doi.org/10.31973/rnr2rv03

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

Abstract:

The study aimed to shed light on the atmosphere that surrounded and caused the emergence of the Ya'ariba state, the events that occurred during the Portuguese invasion of the coasts of Oman, and the data that led to the fall of the Banu Nabhan state and the establishment of the Ya'ariba state. The study also sought to identify the founder of the Ya'ariba state, and the study relied on the historical approach for its suitability. The study reached some results, the most important of which were; the huge naval fleet prepared by the Ya'ariba played an important role in the Ya'ariba naval superiority over the Portuguese fleet and their exit from Oman.

Keywords: Yaruba State - Portuguese Invasion - Nabhana State - Omani Coasts.

دولة اليعاربة: النشأة والظهور

الباحثة علياء عبيد موسى الكعبي
جامعة الشارقة – كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية– قسم التاريخ والحضارة الإسلامية

د. بدرية محمد سالم الشامسي
أستاذ مساعد/جامعة الشارقة – كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية– قسم التاريخ والحضارة الإسلامية

(مُلَخَّصُ البَحث)

هدفت الدراسة إسقاط الضوء على الأجواء التي أدت وتسببت في ظهور دولة اليعاربة، والأحداث التي عاصرت مرحلة الغزو البرتغالي لسواحل عمان، والمعطيات التي أدت إلى سقوط دولة بني نبهان وقيام دولة اليعاربة، كما سعت الدراسة للتعرف على مؤسس دولة اليعاربة، واعتمدت الدراسة المنهج التاريخي لملائمته لها، وتوصلت الدراسة لنتائج أهمها: كان للأسطول البحري الضخم الذي أعده اليعاربة دوراً مهماً في التفوق البحري اليعربي على الأسطول البرتغالي وخروجهم من عمان. بذل الإمام ناصر اليعربي جهوداً مضينة برهن عن طريقها قوته واستحقاقه الثقة التي حازها ،حتى صورته بعض المصادر التاريخية صورة البطل المنقذ الذي أنقذ عمان ،ونهض بهيبة الإمامة من جديد ،وحقق الكثير من آمال العمانيين وتطلعاتهم قبل وفاته.

الكلمات المفتاحية: دولة اليعاربة– الغزو البرتغالي– دولة النبهانة– سواحل عمان.

مقدمة:

يمثل عام ١٦٢٤م محصلة نهائية لطبيعة الأوضاع السياسية والاجتماعية التي كانت تمر بها عمان قبيل ظهور دولة اليعاربة، فمن الحالات النادرة منذ نهايات القرن ٣هـ٩م يتم تنصيب إمام في عمان، ويتمكن من تحقيق الوحدة ويسيطر على الإطار الجغرافي الذي يشمله مسمى عمان التاريخية كافة، صاحبه ظهور دولة اليعاربة تحولات عميقة في دور كما كان للنخب الدينية ورداً كثيراً ،حين تراجع لدور النخب القبلية، إذ بلغ عدد الشخصيات التي انتخبت الإمام ناصر بن مرشد أربعين شخصية عدد من عرفت أسماؤهم ستة عشر أسما جميعهم فقهاء، وفي الواقع اعتمد أئمة اليعاربة منذ البداية الفقهاء، وكانت بنية الجهاز الإداري، والعسكري، تتكون أصلا من الفقهاء، وعمد الأئمة كذلك إلى التقرب من النخب الدينية والأخذ برأيهم في الكثير من القضايا حتى فيما يتعلق بالعلاقات السياسية الخارجية لعمان في ذلك الوقت.

وكانت للقيم السياسة التي تم وضعها لاختيار الإمام، والتي قامت على أساسها الدولة العمانية في عام ١٠٤٣هـ١٦٢٤م؛ بالغ في إنجاح سيطرة دولة اليعاربة وبسطها لمدة من الزمان تجاوزت الثامنة والثمانين عاماً.

مشكلة الدراسة:

تمثلت مشكلة الدراسة في ندرة الدراسات التي جمعت المدة التاريخية للأحداث التي سبقت ظهور دولة اليعاربة، وسقوط دولة النبهانة ، واستيلاء الاستعمار البرتغالي على عمان، وكيفية طرده من دولة اليعاربة. وتمثلت السؤال الرئيس للبحث في:

كيف ظهرت دولة اليعاربة؟ وما الأحداث التي أثرت في وجودها؟

أسئلة الدراسة:

١- ما الأسباب التي أدت الى سقوط دولة النبهانة؟

٢- كيف تمكن الاحتلال البرتغالي من السيطرة على سواحل عمان؟

٣- ما الأحداث التي أدت إلى ظهور دولة اليعاربة؟

٤- ماأهم الشخصيات التي أثرت في ظهور دولة اليعاربة؟

أهداف الدراسة:

- التعرف على الأحداث التي عاصرت مدة الغزو البرتغالي لسواحل عمان.
- بيان الأجواء التي أدت إلى سقوط دولة بني نبهان وقيام دولة اليعاربة.
- تسليط الضوء على ظهور دولة اليعاربة.
- التعرف على مؤسس دولة اليعاربة.

أهمية الدراسة:

- إثراء المكتبة التاريخية عن تاريخ المنطقة في تلك الحقبة.
- رصد كيف نشأت دولة اليعاربة.
- التعرف على القوى الطامعة التي واجهت اليعاربة
- بيان دور اليعاربة في طرد الاحتلال البرتغالي من عمان .

منهج الدراسة:

اعتمد البحث المنهج التاريخي القائم على التحليل والنقد والمقارنة في تناوله الأحداث التي سبقت البحث والأحداث التي عاصرت مدة البحث، والتي تمثلت بمدة احتلال البرتغالي لعمان، وسقوط دولة النبهانة، ونشأت دولة اليعاربة.

الدراسات السابقة:

دراسة النعيمي (٢٠٠٥) بعنوان: العلاقات الخارجية لدولة اليعاربة في عمان ١٦٢٤-١٧٤٧

١-هدفت الدراسة إلى تسليط الضوء على علاقة دولة اليعاربة بجيرانها وبالمحتل البرتغالي، ومع بريطانيا العظمى كلاً على حدة ، مستعرضين أهم أحداثها وملامحها ، كما رصدت الدراسة الفضل الكبير الذي يعود الى ائمة اليعاربة الأوائل في طرد البرتغاليين من سواحل عمان والخليج العربي ، لا بل من قواعدهم في شرق أفريقيا، وتوصلت الدراسة الى نتائج أهمها : ١- استطاعت دولة اليعاربة أن توحد عمان بعد قرون من التجزئة والصراعات المريرة على السلطة. ٢- نجح فيها أئمة اليعاربة من تحرير الساحل العماني ، سعت بعدها الدولة اليعربية ، الى اقامة علاقات خارجية متوازنة مع القوى الأخرى المتواجدة في المنطقة. ٣- ظهور دولة اليعاربة على أنهم قوة عربية ناشئة استطاعت أن تكسر شوكة البرتغاليين اقوى دولة استعمارية ، ٤- أصبح اسطولهم البحري يجوب الخليج العربي والمحيط الهندي ، بحثا عن سفن الأعداء والتصدي لها (النعيمي، ٢٠٠٥)

دراسة الرحبي (٢٠١٤). الإمامة والصراع على السلطة في عمان أواخر دولة اليعاربة

هدفت الرسالة إلقاء الضوء على المسيرة التاريخية العمانية والتي تبدأ بعام ١١٣١هـ ١٧١٩ /م وهو العام الذي توفي فيه الإمام سلطان بن سيف الثاني (١١٢٣هـ١٧١١/م١١٣١-هـ١٧١٩/م) الذي عد آخر الأئمة الأقوياء، وتنتهي بالعام ١١٦٢هـ ١٧٤٩ /م والذي شهد عزل الإمام بلعرب بن حمير بن سلطان ومبايعة أحمد ين سعيد البوسعيدي بالإمامة في عمان الأمر الذي كان إيذانا بنهاية وختام مدة حكم اليعاربة.

وتوصلت الدراسة لبعض النتائج كان أهمها: ١- إن هنالك عوامل أو جذور للصراع الداخلي الذي شهدته الدولة اليعربية أواخر حكمها تكمن في كيفية عمل نظام الحكم في هذه المدة والتي تمثلت بالانتخاب الخلافي، والخروج على الإمام، وتراجع سلطة العلماء أهل الحل والعقد".

٢- بينت الدراسة أن رفع بلعرب بن ناصر اليعربي للحظر على بني هناءة ،والذي كان قد فرض أيام الإمام ناصر بن مرشد كان الأساس في تشكل المحور الهنائي، في المقابل كان للخلاف الحاد بين بلعرب بن ناصر والشيخ محمد بن ناصر الغافري دور في ظهور المحور الغافري.

٣- لم يكن للعصبيات القبلية القديمة ولا للاختلافات المذهبية دور في صياغة الحزبين الغافري والهناوي إنما الأمر كان لأسباب اقتصادية وسياسية حكمت ظروف كل قبيلة في حسم خيارها بالانضمام لأحد المحاور.(الرحبي، ٢٠١٤).

دراسة البراشدي (٢٠١٨). بعنوان: التنظيم الإداري في عمان زمن اليعاربة

تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على ملامح التنظيم الإداري في عمان في مدة اليعاربة (١٠٣٤هـ/١٦٢٤م-١١٦٢هـ/١٧٤٩م)، وتوضيح أهم الوظائف الإدارية ،وكيفية الوصول إليها سواء عبر المعايير المطلوبة أو طريقة التعيين، فضلا عن بيان الواجبات والصلاحيات المتعلقة بتلك الوظائف.

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج تمثلت في : ١- بيان الملامح العامة للتنظيم الإداري في عمان في مرحلة اليعاربة، ولاسيما اتباع النظام اللامركزي في إدارة الدولة، فضلا عن وجود وظيفة الوالي الأكبر الذي يعينه الإمام، ويتبعه عدد من الولاة ولديه صلاحيات عدة تميزه عن الولاة التابعين له، وكذلك وظيفة القاضي والقضايا المتعلقة بها، كما وضحت الدراسة أنواع الوكلاء والمهام التي يقومون بها.(البراشدي، ٢٠١٨).

فترة الغزو البرتغالي لسواحل عمان

لم يكن خروج المسلمين من الأندلس في أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر للميلاد هو نهاية الصراع بين المسلمين والأوروبيين في الأندلس، إذ جعل البرتغاليون على عاتقهم تعقب المسلمين ،ومطاردتهم ،وانتزاع تجارة الشرق من أيديهم؛ حتى لا يعاودوا الكرَّة في غزو الأندلس من جديد، ومنذ هذا التاريخ تعرض العالم العربي والإسلامي لموجات استعمارية متلاحقة، حيث زحف الأوروبيون على الشرق وجعلوه قبلة لغزواتهم. ومن ثم فإن الدوافع الدينية والاقتصادية كانت هي المحرك الرئيس للبرتغاليين في أثناء نشاطهم الكشفي والاستعماري. وقد أثرت تلك الموجة الاستعمارية تأثيراً بالغاً على منطقة الخليج العربي، إذ لم يتوقف الأمر على البرتغاليين فحسب، وإنما كانت تلك الموجات هي البداية الأولى للأطماع الأوروبية، الأمر الذي كان له تأثير مدمر على الحالة التجارية والاقتصادية التي كانت أهم ثروات منطقة الخليج العربي طوال مراحل العصر الإسلامي المزدهرة في المرحلة من القرن الثامن حتى نهاية القرن الخامس عشر الميلادي، أي منذ قيام خلافة بني العباس في بغداد عام ٧٥٠م وحتى وصول البرتغاليين إلى شواطئ الخليج العربي عام ١٥٠٧م (Kellyn , 1968, 6-8)حيث كان الخليج العربي يعد بوابة مرور تجارة الهند والصين إلى أوروبا، فهو من أهم المعابر التجارية في آسيا.

ولما كانت تجارة الغرب لابد لها للمرور إلى الغرب وعليها أن تسلك إما طريق البحر الأحمر ومصر، أو طريق الخليج العربي إلى سواحل الشام والمعروفة آنذاك بسواحل "الليفانت" (لامنس، ١٩١١، ٧)[١٠] ، ولما كان الطريقان يقعان تحت سيطرة المسلمين، وكان الإيطاليون من أهالي جنوة والبندقية وفلورنسا يسيطرون على تجارة البحر المتوسط بين آسيا وأوروبا(ديل، ١٩٤٧، ١٤٧).. فقد وجد الأوروبيون أنفسهم في أمس الحاجة للبحث عن طريق بديل، فجدُّوا في البحث عن طريق آخر يصلهم بأسواق الشرق مباشرة، طمعاً في عوائد ذلك من الثروة والمكانة العظيمة، إلى جانب التخلص من سيطرة التجار الإيطاليين والعرب المسلمين على طرق التجارة (لوريمر، ١٩٧٥، ١٠-١١)

ونظراً للتقدم الكبير الذي أحرزه البرتغاليون في المجال البحري، وامتلاك البرتغال أكبر الإمكانيات البحرية في ذلك الوقت، فقد وجهت جُلَّ جهودها إلى البحث عن طريق بحري بديل لتجارتها إلى الهند والشرق الأقصى، فكان الهدف الرئيس للتوسع البرتغالي في الشرق هو البحث عن طريق مباشر لخطوط التجارة إلى الشرق الأقصى وبلاد الهند والصين من دون الحاجة إلى وساطة المسلمين أو التجار البنادقة، وقد ساعدهم على تحقيق هذا الهدف تشجيع الملوك والأمراء للربابنة وأصحاب البحر، فضلاً عن اندثار ما كان سائداً في أذهان الأوروبيين من خرافات وأوهام عن شكل الأرض منذ أواخر العصور الوسطي.

كان عام ١٤٩٨م هو البداية الحقيقة للتحول في مسار التجارة العالمية، وهو العام الذي استطاع فيه فاسكو دي جاما Vasco de Gama الوصول إلى سواحل الهند الغربية مروراً بأقصى جنوب قارة أفريقياً بعيداً عن مناطق سيطرة العرب أو البنادقة، الأمر الذي كان نذير شؤمٍ على المصالح بل والسيادة العربية والإسلامية، ليس في المحيط الهندي فحسب بل وفي الخليج العربي أيضاً؛ فما لبث البرتغاليون وصلوا إلى الهند اندفعوا للاستيلاء على جميع نقاط ومراكز التجارة في بحار الشرق(التكريتي، ١٩٦٦، ٢٥).

وقد رأى بعض الباحثين أن فاسكو ديجاما لم يكن ليحقق مبتغاه في الوصول إلى سواحل الهند من دون اعتماد مساعدة بعض الأدلاء من العرب والهنود الذين خبروا تلك البحار، وترددوا على تلك المدن والموانئ، وذلك على وفق ما ذكرته مصادر عربية وبرتغالية عدة. وقد زج اسم البحار أحمد بن ماجد من بين الأدلاء الذين ساعدوا فاسكو ديجاما في

[١] يعد هذا الاسم اسماً حديثاً إلى حد بعيد. ويعني "حيث ترتفع الشمس" أو "الأرض التي ترتفع عن البحر".وكان أول من أطلق هذا الاسم على هذه المنطقة هم الإيطاليون، كانوا أول من أطلق اسم الليفتانت على المنطقة الجغرافية التي تقع شرق البحر المتوسط -سوريا ولبنان وفلسطين والأردن- بهذا الاسم في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين. واستُعمل هذا المصطلح في مرحلة الحروب الصليبية التي استهدفت بلاد الشام. وشاع استعماله في أثناء العمليات التجارية التي كانت تتم بين المسلمين والأوروبيين فيما بعد. وسرعان ما انتقل الاسم من اللغة الإيطالية إلى اللغات الفرنسية والإنجليزية والتركية.

الوصول للهند (مجموعة من المؤلفين ، ١٩٩٨، ٦٣٠٩). إلا أن صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي حاكم الشارقة قد خالف ذلك المنحى الذي ذهب إليه بعض الباحثين من أن أحمد بن ماجد هو الذي أرشد فاسكو دي جاما إلى طريق الهند، فصوَّب في كتابه التاريخ تحت عنوان: "بيان للمؤرخين الأماجد في براءة أحمد بن ماجد" .. صوب هذه المعلومة الخاطئة وأكد أن من أرشد "فاسكو دي جاما" في طريقه ،وكان دليله إلى الساحل الشرقي الأفريقي ثم إلى سواحل الهند الغربية هو بحار هندي من منطقة "غجرات" وليس البحار العربي ابن ماجد.(سعدالله، ١٩٢٢)

وما إن عرف البرتغاليون طريقهم إلى سواحل الهند، حتى بدأت السيادة الإسلامية على تجارة المحيط الهندي في الزوال، فحرمت منطقة الخليج العربي من أهم مصادر ثروتها، وازدهرت مدن وقامت دول لم يكن لها شأن قبل ذلك، على أمثال مدينة "سيراف" ودولة هرمز ، وما إن استقر الأمر للبرتغاليين، ونالوا ضالتهم ،وأمنوا تجارتهم ،وتمكنوا من غل يد المسلمين عن خطوط التجارة بتلك المناطق، حتى عمدوا إلى الخوض في نزعات بربرية وحروب دموية يحركها التعصب الديني الأمر الذي أعاد إلى الأذهان ذكرى الحروب الصليبية في العصور الوسطى(المليباري، ١٩٨٥، ١٦٩).

ولما تحقق للبرتغاليين مبتغاهم ،ونالوا مرادهم من وصول تجارتهم إلى الهند والشرق الأقصى، كانت النتيجة تلك الثورة الكبيرة التي شهدتها التجارة الأوروبية وذلك المجد العظيم الذي ناله البرتغاليون حتى أطلقوا على أنفسهم "سادة الفتح والملاحة والتجارة في بلاد الهند والحبشة وجزيرة العرب وفارس"، ولم يلبث البابا أن صادق على هذا اللقب (Phillips, 1967, 30). إلا أن هذا المجد البرتغالي لم يكن سبقاً ولا تفوقاً للبرتغاليين فحسب، وإنما كان إيذانًا بزوال السيادة الإسلامية على التجارة بين أوروبا والشرق الأقصى، وليس ذلك فحسب، وإنما كان ذلك إيذاناً بانطلاق الشرارة الأولى ووضع أولى لبنات الاستعمار الأوروبي للمشرق العربي والإسلامي في العصر الحديث (الحيدري، ١٩٦٦، ٢٨).

وقد كان احتدام الصراعات المذهبية والتوسعية التي شغلت القوى الإسلامية الكبرى في ذلك الوقت من أهم العوامل التي أضعفت قوة المسلمين، وساعدت البرتغاليين على تقوية نفوذهم في بحار الشرق. إذ شهدت تلك المرحلة حروباً بين القوى التي حملت لواء الزعامة في العالم الإسلامي في ذلك الوقت، مثل: المماليك في مصر والشام وبعض أجزاء الجزيرة العربية، والصفويين في فارس، والعثمانيين في آسيا الصغرى (لوكمان، ٢٠٠٧، ١٠٥).

وقد ذهب بعض الباحثين إلى توجيه اللوم إلى العثمانيين، الذين أغفلتهم الصراعات فلم يفطنوا إلى التنبؤ بالنتائج المدمرة التي كانت تهدد مستقبل الإمبراطورية العثمانية على أثر المد البرتغالي في المشرق ،وسيطرة البرتغاليين على خطوط التجارة؛ فلو أنهم أعملوا عين

الحكمة في واقع الأمور لكانت لهم الغلبة بلا شك؛ ولنجحوا في طرد البرتغاليين الذين كانوا بعيداً عن المدد في مواجهة القوة العسكرية للدولة العثمانية. لقد امتلكت الدولة العثمانية إلى جانب قدراتها العسكرية رصيداً كبيراً في نفوس المسلمين لما لها من سلطة دينية في ذلك الوقت، فلو أحسنوا استغلال تلك الميزة، لتمكنوا بلا ريب من حشد القوات في المشرق والتعاون مع باقي القوى في المنطقة بالتحالف مع كل من شاه الفرس ودولة المماليك وإمبراطور المغول في الهند، للقضاء على سيطرة البرتغاليين على بحار الشرق. إلا أنهم غفلوا عن تحركات البرتغاليين في الجبهة الشرقية، وشغلتهم الحروب الدائرة على الجبهة الأوروبية، فأخفق السلطان سليم الأول – على الرغم من دهائه وقدراته العسكرية والسياسية – أخفق في الاستبصار بالمستقبل وإدراك أهمية تلك الجبهة التي نفذ منها البرتغاليون، فعمد إلى الإعداد لغزو الدولة الصفوية في إيران بدلاً من التحالف معها للوقوف في وجه الغزاة البرتغاليين.

وعلى الرغم مما عانت منه دولة المماليك في ذلك الوقت من استنزاف لقواتها في جهودها الكبيرة لحماية العالم الإسلامي من خطر الغزوين الصليبي والتتري، إلا أن الأمانة العلمية والإنصاف يدعوننا إلى التقرير بحقيقة تاريخية مهمة، مفادها أن تلك الدولة – دولة المماليك – كانت من أوائل القوى التي تصدت للخطر البرتغالي، إلا أن تلك الحروب التي خاضها المماليك إلى جانب تأثرها اقتصادياً من جراء فقدانها للمكوس والجبايات التي كانت تتحصل عليها لما كانت تسيطر على خطوط التجارة، كل ذلك أدى إلى استنزاف المزيد من قواها ولاسيما بعد هزيمة الأسطول البحري المملوكي معركة ديو البحرية في ١٥٠٩ (ابن إياس، ١٩٦٠، ١٨٢/٤) ، وبهزيمة المماليك في تلك الموقعة أسدل الستار على العصر الذهبي للملاحة والتجارة العربية والإسلامية في بحار الشرق، فقد استطاع البرتغاليون عام ١٥١٠م تأسيس قاعدة قوية لهم في جوا على ساحل الهند الغربي، في خطوة قوية نحو السيطرة على تجارة الشرق عن طريق بسط نفوذ البرتغاليين على منافذ التجارة في الخليج العربي والبحر الأحمر.(George , 1964, 65)

وسرعان ما اشتعل الصراع المذهبي الشيعي السني بين الدولة الصفوية الشيعية والدولة العثمانية السنية، فلم تمض على هزيمة الدولة المملوكية في معركة ديو أكثر من خمس سنوات حتى تأججت الصراعات المذهبية بين هاتين الدولتين، الأمر الذي أضعف من قدرات سكان منطقة الخليج العربي على مواجهة المد البرتغالي، واستمر النزاع بين الدولتين حتى انقلبت الموازين بعد معركة جالديران في ١٥١٤، التي انصرف العثمانيون موجهين وجههم صوب دولة دولة المماليك للقضاء عليها، وقد تم لهم ذلك ١٥١٧م (السيد، ٢٠٠٤، ٨٨–٨٩).

كانت تلك الصراعات المذهبية بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية، وهما أكبر دولتين في العالم الإسلامي وقتذاك، كانت من أهم عوامل التمكين للبرتغاليين ،وبسط نفوذهم في بحار الشرق، فتلك القوى البرتغالي البعيدة آلاف الأميال عن المدد لم تواجه ثمة تحالف واحد بين القوى الإسلامية الكبرى يقف في وجهها ويكسر شوكتها، كما انشغلت القوى المحلية بصراعات قبلية ،ومنافسات أسرية فلم توحد صفوفها في وجه الغزو البرتغالي، الأمر الذي جعل الأمور تسير في مصلحة البرتغاليين. فقد عمد البرتغاليون إلى تأجيج الصراعات بين الأطراف المتنازعة فحالفوا شيخ ماليندة ضد منافسه حاكم ممبسة في سواحل شرق إفريقيا، كما انحازوا إلى ملوك هرمز في منطقة الخليج العربي ضد منافسيهم شيوخ بني جبر ،فضلا عن ذلك التفكك الكبير الذي شهدته مناطق الدولة العثمانية، وتشتتها بين مملكة هرمز التي سيطرت مسقط ،وخورفكان، وصور ،وغيرها من مقاطعات الساحل، وبين الملوك النهبانيين(السيار، ١٩٧٥، ٢٢– ٢٣) الذين كانوا يسيطرون على المقاطعات الداخلية، والذين انشغلوا بثورات الشيعة الإباضية والقضاء على نفوذهم (كلي، ١٩٧٩، ١٧).

والذي زاد الأمر تعقيداً توجه البرتغاليين إلى التحالف مع الشاه إسماعيل الصفوي، فأرسلوا إليه الوفود للتفاوض معه في شأن التحالف ضد الدولة العثمانية التي بدأت تسعى لبسط نفوذها على سواحل الخليج العربي (قاسم، ١٩٩٦، ٦٦) ، فمال الصفويون إلى جانب البرتغاليين طمعاً في دعمهم في مواجهة الدولة العثمانية.

وقد تهيأت الظروف لصالح البرتغاليين الذين بدأوا أولى تحركاتهم العسكرية في الخليج العربي، فتولى قيادة العمليات العسكرية الفونسودا البوكيرك Dalboquerque، الذي نشأ وفي قلبه رغبة كبيرة في الانتقام من المسلمين، فجعل هدفه الأول حماية التجارة البرتغالية، وتدعيم نفوذ البرتغاليين في تلك المنطقة وإخضاعها لسيطرتهم، فبنى الحصون البرتغالية في مناطق الخليج العربي مثل: هرمز ،ومسقط، والبحرين، والتي وصفت فيما بعد بالحصون التي لا تقهر، والتي ما زال معظمها باقياً حتى يومنا هذا (ويلسون، ١٩٨١، ٦٤).

استولى البوكير في بداية عملياته العسكرية في الخليج العربي على قلهات وقريات، تلك العمليات التي سادها العنف ،وغلب عليها طابع القسوة، إذ أشعل النيران في المدينتين، وأحرق موانئهما وما رسى فيها من سفن، ثم قصد مسقط فهدم مسجدها الكبير(مايلز، د.ت، ١٥٦) ، وعمد إلى حرق المدينة وتدميرها ولم يوقفه عن ذلك إلا أن عاهده شيوخها على افتداء المدينة بكمية ضخمة من الذهب قدرت بأكثر من عشرة آلاف زرافين[٢] (Wendel , 1967, 37–39).

[٢] الزرافين، عملة برتغالية كانت تعادل آنذاك ٣٠٠ ريال، وعن عمليات البوكيرك العسكرية الأولى في الخليج

وما إن فرغ البروكيرك من مسقط حتى ولى وجهه قبل صحار، التي انطلق منها الأسطول البرتغالي صوب خورفكان، وعلى الرغم من المقاومة الشديدة التي لقيها البرتغاليون من سكان خورفكان إلا أنها ما لبثت أن انهارت أمام البرتغاليين الذين نكلوا بسكانها، وأحرقوها ،ومثلوا بالجثث نوقطعوا آذان الأسرى وأنوفهم.(Miles, 1919, 150)

وسرعان ما سقطت رأس مسندم في أيدي البرتغاليين، الذين توجهوا إلى مملكة هرمز ذات الأهمية الإستراتيجية الكبيرة، فهي التي تتحكم في مدخل الخليج العربي من الناحية الجنوبية، والتي سرعان ما دانت للبرتغاليين في ١٥٠٧ وذلك على الرغم من قوتها السياسية والاقتصادية، ويبدو أن السبب في هذا السقوط السريع لهرمز هو انشغال أهلها بالتجارة والملاحة ،وافتقارهم إلى المهارة القتالية، فضلا عما كانت تعانيه المملكة من تفكك نتيجة الصراعات الدائرة على الحكم. ولعل اتساع مملكة هرمز وامتدادها الكبير كان سبباً يضاف إلى عوامل انهيارها،فقد عانت من نزاعات على النفوذ مع بعض القوى السياسية أمثال: شيوخ بني جبر الذين تمكنوا من انتزاع الكثير من المناطق منها حتى امتدت سيطرتهم إلى أواسط نجد. ولم يتوقف البرتغاليون عند هرمز، إذ انطلقوا بعد أن دانت لهم موجهين عسكرهم إلى باقي مناطق الخليج العربي فسيطروا على البحرين وما جاورها من بلدان، ودانت لهم معظم السواحل العربية للخليج.

ما لبث البرتغاليون أن احتكروا التجارة في مياه الخليج العربي، فما أن دانت لهم هرمز وبنوا فيها قلعتهم، وسيطروا على سواحل الخليج من جهتي الشرق والغرب، حتى بدأوا في منع السفن من الإبحار إلا بعد أخذ تصريح منهم، وهو ما عرف بنظام الرخص البحرية ، أو بالقراطيس البحرية Cartaze System الذي بموجبه تلتزم السفن للحصول على مرور آمن بدفع ضريبة معينة والحصول على تصريح بالمرور، يحدد فيه الموانئ التي ستدخلها والسلع التي يسمح لها بحملها، على أن تصادر أو تدمر كل سفينة تخالف ذلك، الأمر الذي كان من أهم مصادر الدخل للبرتغاليين(التكريتي، ١٩٦٦، ٣٣).

وفي عام ١٥٢٠ وبعد أن تمت للبرتغاليين السيطرة الكاملة على المياه والتجارة في الخليج العربي(ويلسون، ١٩٨١، ٦٩-٧٠) عقب إخضاعهم لمملكة هرمز، توجه البرتغاليون لمهاجمة البحرين بالتعاون مع مملكة هرمز، وعلى الرغم من وقوف البحرين ببسالة في وجه البرتغاليين بقيادة سلطانها مقرن بن زامل من بني جبر، إلا أنها لم تستطع الصمود أمام البرتغاليين، فهُزم الجبريون ،وأسر سلطانهم وأعدم، فكان أول حاكم يلقى حتفه في شرق العالم الإسلامي في معركة ضد البرتغاليين (التكريتي، ١٩٦٦، ٣٧٣).

لقد كان لقتل السلطان مقرن على يد البرتغاليين وسقوط البحرين في أيديهم حدثاً جللاً كان له صدى كبير في أنحاء الخليج العربي بل والعالم الإسلامي بأسره، فكتب المؤرخ المصري ابن إياس في كتابه الشهير "بدائع الزهور في وقائع الدهور"، عبارات أظهرت حزنه الشديد علق بها على استشهاده، فقال "بإنه كان من أشد الحوادث في الإسلام وأعظمها" (ابن إياس، ١٩٦٠، ٣٧٣/٥).

ولم يدم ذلك التحالف بين البرتغاليين والهرمزيين طويلاً، فقد فطن توران شاه، ملك هرمز، إلى ما أحرزه البرتغاليون من سطوة ما بلغوه من استعلاء، وما حصلوا عليه من مكاسب ولاسيما فرض سيطرتهم العسكرية والاقتصادية على الخليج العربي، فبات يتحين الفرصة للإطاحة بتلك السيطرة البرتغالية، إلى أن نما إلى علمه تلك الصعوبات التي يواجهها البرتغاليون في الهند، وسحب جزءا كبيرا من قواتهم في الخليج العربي للدفع بها إلى الهند، فأعلن الثورة ضد البرتغاليين في أقطار الخليج العربي في ٣٠ نوفمبر ١٥٢١.

وكان من اللافت للنظر ذلك التدبير المحكم الذي دبره أبناء الخليج العربي، وتلك الخطة الذكية التي كان مبناها مهاجمة حصون البرتغاليين في وقت واحد في هرمز ،والبحرين ،ومسقط ،وقريات ،وصحار، وخورفكان، واستمرت تلك الهجمات أكثر من ستة أشهر سقطت فيها عدد من الموانئ ،وقتل فيها عدد كبير من البرتغاليين(ويلسون، ١٩٨١، ٨٠). وكان الدافع الأكبر والمحرك الأبرز لروح الثورة لدى أبطال الخليج العربي هو تلك السياسة العنيفة التي انتهجها البرتغاليون في حكمهم للمنطقة (مايلز، د.ت، ١٦٥-١٦٦). إلا إن تلك الثورة سرعان ما باءت بالفشل على الرغم مما شهدته بداياتها من نجاح نسبي، ولعل السبب في ذلك ما وقع في صدر شيوخ الجبور من كره لملوك هرمز ،ورغبة في الانتقام من توران شاه الذي تحالف مع البرتغاليين ،وساعدهم حتى ظفروا بقائدهم الكبير مقرن بن زامل وقتلوه (قاسم، ١٩٩٦، ٦٦).

وقد كانت معاهدة ميناب في ١٥٢٣ هي أهم نتائج فشل ثورة ١٥٢١ واستعادة البرتغاليين سيطرتهم على الخليج العربي، إذ بمقتضى تلك المعاهدة التي أبرمها البرتغاليون مع محمود شاه الذي خلف توران شاه، تأكدت لهم السيطرة على هرمز وما يتبعها من مناطق، فبقيت هرمز منذ حينها تحت سيطرة البرتغاليين إلى أن سقطت في يد الإنجليز والفرس عام ١٦٢٢.

وقد شهدت تلك المدة التي سيطر فيها البرتغاليون والتي امتدت إلى قرابة قرن من الزمان في المدة ما بين عامي ١٥٢٣، ١٦٢٢، شهدت محاولات عدة للتخلص من سيطرة البرتغاليين ،والقضاء على نفوذهم. فهاجم العمانيون الحاميات البرتغالية في كل من مسقط

وقلهات في ١٥٢٦، وخاضت الدولة العثمانية صراعاً بحرياً مع البرتغاليين في الخليج العربي .(Wendel , 1967, 39)

وفي القرن السابع عشر للميلاد استبدل النفوذ البرتغالي في المنطقة بالنفوذ الإنجليزي، فقد لجأت فارس نظراً لضعف قوتها البحرية إلى الاستعانة بالإنجليز، فاستطاع بذلك الشاه عباس الكبير ١٥٨٥، ١٦٢٩ أعظم أباطرة الأسرة الصفوية طرد البرتغاليين من هرمز(كلي، ١٩٧٩، ٨).

سقوط دولة بني نبهان وقيام دولة اليعاربة

نتناول في هذا المبحث نشأة دولة النباهنة، وكيفية سقوطها، وكيف ولدت دولة اليعاربة من رحمها. اختلف المؤرخون على المؤسس الفعلي لدولة النباهنة، فذهب البعض إلى افتراض أن فلاح بن محسن هو مؤسسها وأول ملوكها(ابن حزم، ١٩٤٨، ٣٤٧) ، إلا أن هذا القول يجافي الحقيقة؛ إذ إن فلاح بن محسن هو ثالث حكام النباهنة ترتيباً في عصر النباهنة المتأخرين، ومن المعروف أن حكم النباهنة مر بحقبتين، الأولى: مرحلة حكم النباهنة الأوائل في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي (حتى عام ٩٠٥هـ / ١٥٠٠ م)، والثانية: مدة حكم النباهنة المتأخرين في المدة من ٩٠٦هـ/١٥٠٠م إلى ١٠٣٤ هـ / ١٦٢٤م (السيابي، ٢٠١٤، ٧٦).

كما اختلفوا حول تحديد عاصمة النباهنة على وجه الدقة، فذهب بعضهم إلى أنها كانت بمدن مثل نزوى وبهلاء والمقنيات، في حين تجاوز البعض الآخر في أبحاثهم ذكر العاصمة أو الحديث عنها، وبالمثل لم يستطع المؤرخون تحديد حدود الدولة ونطاق سلطاتها، فقد اتسمت حدودها بعدم الوضوح، فصعب تمييزها نظراً لما مرت به من أحداث تشابك فيها حدودها مع دول وحكومات أخرى؛ لذا سوف نتناول في هذا المبحث نشأة الدولة ،وتوسعها، والضعف الذي حل بها ليولد من رحم هذا الضعف دولة اليعاربة.

النشأة:

كان من بين القبائل العربية التي سكنت اليمن قبل انهيار سد مأرب قبيلتا أزد السراة وأزد عمان، فلما انهار سد مأرب الذي بناه قديماً سبأ بن يعرب، نزحت الموجة الأولى من هجرة الأزد إلى عمان بقيادة مالك بن فهم فاستوطنوا عمان، ثم تلتها موجة ثانية من الهجرة – لم تحدد المصادر على وجه الدقة سببها – قام فيها أفراد من أزد شنوءة باجتياز الصحراء العربية في أواخر القرن الأول قبل الميلاد، وتوجهوا شمال عمان قاصدين دبا وأقاموا فيها واستوطنوها وقد توالت الهجرات لقبائل الأزد عقب هجرة مالك بن فهم ،واستقرت في شمال عمان (السيابي، ٢٠١٤، ١٩٧٥).

والنباهنة – وفقاً لما جاء بوثائق حفظ الأنساب المتوارثة في عمان – ينحدرون من نسل عتيك الأزدي (العوتبي، ١٩٨٤، ٢٢٤) ، وقد قسم النسابون أنساب الأزد في عمان – بحسب هجراتهم – إلى ثلاثة أقسام، القسم الأول: هم فروع مالك بن فهم، والثاني: فروع نصر بن زهران والمعرفون بأزد شنوءة، وأخيرا القسم الثالث: من أنساب الأزد في عمان وهم فروع عمران بن عمر بن مزيقا، ومن أبنائه الأسود "المعروف بالعتيك" والحجر (Strenziok, 1960, 12).

ومن الصعب تحديد المواقع التي استوطنتها كل قبيلة على حدة لدى نزوحها إلى عمان، نظراً لندرة المعلومات المتوافرة في هذا الصدد، إلا أنه جاء في كتاب "كشف الغمة" أن أول المهاجرين من الأزد إلى عمان بعد مالك بن فهم هو عمران بن عمر بن عامر ماء السماء، وولداه الحجر والأسود (ابن حزم، ١٩٤٨، ٣٤٧) ، وقد جاء في الأنساب أن الأسود هو الذي لقب بالعتيك وهو جد أزد العتيك (العوتبي، ١٩٨٤، ١١٧/٢). وقد استقروا في منطقة دبا شمال غربي عمان، وامتدت مضارب خيامهم متاخمة لسواحل البحر المقابلة للموانئ الفارسية بالقرب من تجمعات قبيلة الحدّان.

واندمج العمانيون في إطار النظام القبلي العربي، إذ اندمجت قبيلة العتيك مع قبائل عربية أخرى فكان الاستيطان الأولي في دبا هو بداية تشكيل التنظيم السياسي للعمانيين الذين استوطنوا حدود الصحراء على الجانب الغربي للمرتفعات ولم ينفذوا إلى المناطق الجبلية، كما لم يُعلم حدوث أي نزاع حول الأراضي بين الأزديين الأوائل والجدد (أزد شنوءة)، إلا أن تدافعهم كان دائماً لنيل شرف القيادة والريادة في النظام السياسي القبلي (Wilkinson, 1975, 97–99).

وفي القرن الثالث الميلادي أخذ الصراع شكلاً آخر حين تدخلت بعض القوى المحيطة، فقد استطاع الملك الساساني أردشير السيطرة على عمان، فخاض مع سكان المنطقة من العرب حرباً عنيفة انتهت إلى اقتسام السيادة بين الفرس والعرب، إذ سيطرت أسرة الجلندانيين على حكم القبائل العربية التي استوطنت المناطق الداخلية والجبلية، في حين ظفر الفرس بحكم المدن الساحلية، وسيطروا على الموانئ ،والسهول، والمناطق الزراعية . (Wilkinson, 1973, 44)

واتحدت القبائل العربية في تحالفات قبلية جعلت القيادة السياسية للجلنديين، وارتضت القبائل العربية استيطان المنطقة فتجمعت حول مصادر المياه تجمعهم قيادة سياسية واحدة، الأمر الذي أسفر فيما بعد عن سيطرة المعاول "بطن من بطون الجلنديين" على قيادة تلك التحالفات ،واتخذوا من "صحار" عاصمة لهم، وربما دعمهم في ذلك قبيلة الحدّان التي كانت مقربة إليهم في هذا الوقت. في حين استقر العتيك في دبا. وقد ساد في تلك المدة تنافساً

تجارياً بين صحار ودبا بوصفهما من أهم المنافذ البحرية التجارية في جنوب شرق الجزيرة العربية، فهاجم عبد عز – زعيم الجاندانيين – المناطق الساحلية الخاضعة لسيطرة الفرس فشن هجوماً على أهل العباب.(Wilkinson, 1975, 99)

ولا شك أن أي قوة سياسية ما أن تظهر ،وتتوافر لها عناصر القوة حتى تتجه أبصارها تلقاء السيطرة على تجارة الخليج، فما لبث العتيك وأولاد شمس (الجلندانيين) أن تحالفتا مكونتين قوة سياسية في المنطقة، ثم أثمر هذا التحالف عن نجاحهما في السيطرة على عدد من الموانئ والمناطق الساحلية، الأمر الذي مكنهم من السيطرة على التجارة البحرية في الخليج. وهنا ذهب ويلكنسون إلى أن الثقافة والتاريخ في عمان قد تحددا بعوامل عدة وأهمهاك القبلية، والتجارة البحرية، والإمامة.

وقد تطورت وازدهرت تجارة الخليج في هذا الوقت، ولعل مرجع ذلك إلى عاملين: الأول هو تلك العلاقة التي كانت تربط الجزيرة العربية وفارس فكان الخليج منفذاً مهما للتبادل التجاري بينهما، والثاني: هو اتحاد التجمعات القبلية التي استوطنت الداخل والمناطق الجبلية الأمر الذي ساعد على تطور التجارة بين المناطق الداخلية وبين دبا وصحار.

وقد ازدهرت التجارة في ميناء دبا قبل الإسلام، حتى وصفه البعض بأنه عاصمة عمان القديمة(الحموي، ١٩٨٦، ٤٥٣/٢)، وقد سيطر عليها العرب وانتزعوها من سيطرة الساسانيين فكانت سوقاً مزدهراً في هذا الوقت (ابن حبيب، ٢٠٠٩، ٢٦٥) في حين تصالح الفرس والجلندانيين على اقتسام السيطرة على صحار فتشاركوا في ضرائبه والتحكم فيه.

ووفقاً لما ذكره ابن حبيب، فقد كانت ضرائب صحار ودبا تذهب إلى حكام عمان الجلندانيين، الأمر الذي مفاده نقطتين غاية في الأهمية، الأولى: إن دبا كانت ميناءً عربياً وليس فارسياً والدليل على ذلك أن خراجها وضرائبها كانت تؤول للجلندانيين، وأما النقطة الثانية: فهي تلك العلاقة التجارية التي ربطت بين التجار العرب وتجار الصين قبل الإسلام، إذ كانوا يلتقون في دبا(ابن حبيب، ٢٠٠٩، ٢٦٦).

هجرة العتيك إلى المناطق الداخلية في عمان

على مدى قرن ونصف من الزمان تبادل العتيك واليحمد لواء الإمامة في عمان، فبرز العتيك في بداية الأمر وشاركوا بفاعلية في الحياة السياسية، إلا أن الإمامة الأولى في عمان كانت لأئمة ينتمون إلى قبائل اليحمد، ما عدا الإمام عبد الملك بن حميد (٨٢٣/٢٠٧ – ٨٤١/٢٢٦) المنحدر من قبيلة العتيك (Wilkinson, 1987, 205)، كما دعم العتيك العباسيين مع البدو من بلاد السر لخلع الإمام محمد بن يزيد في نهاية القرن الثالث/التاسع (السالمي، ١٣٥٠هـ ، ١٧٣) ، فانتقل العتيك من دبا إلى بلاد السر وأقاموا بعض المستوطنات الصغيرة في القرنين الثالث والرابع الهجريين، وجعلوا من بهلا مركزا للتواصل

عبر هجراتهم السكانية، وهو ما يفسر اطلاق بعض الكتب العمانية القديمة مسمى العتيك على بهلاء (Wilkinson ,1987,206) وفي منتصف القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) خلت عمان من ثمة سلطة مركزية تحكم البلاد بأكملها، فتوزعت السلطة – وفقاً لما أورده المؤرخون العمانيون – بين بعض الأئمة وزعماء القبائل الذين حكموا مناطقهم من دون أن تجمعهم قيادة موحدة (السالمي، ١٣٥٠، ٢٤٥).

ومن هنا سنحت الفرصة للنبهانيين من أصول العتيك ليتولوا زعامة القبائل في الداخل من عمان وفي بلاد السر فانتشر شيوخهم في كل أنحاء عمان من ضنك مرورا بنزوى وسمائل، وامتد هذا الانتشار إلى الساحل الشرقي فاتخذوا من قلهات ميناءً لهم، في حين سيطر ملك هرمز على صحار في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي(Badger، ١٨٧١، ٦٩).

ولعل تغير طرق التجارة البحرية في المحيط الهندي في العصور الوسطى وتحديداً في القرنين العاشر والحادي عشر الميلادي (الرابع والخامس الهجريين)، وكذلك تدهور صحار نتيجة الكوارث الطبيعية والزلازل التي دمرت هذا الميناء، لعل ذلك كان سبباً لعدم اكتراث النبهانيين لصحار ،وعزوفهم عن السيطرة عليه .(Wilkinson, 1973, 11)

ومن الشخصيات المحورية في نشأة الدولة النبهانية شخصية مؤسس الدولة أبي عبد الله نبهان بن عثمان(السيابي، ١٤١٤هـ، ١١٦) والذي تفرعت منه الأسر النبهانية وفقاً لما أوضحته جداول الأنساب، قد وصفه الشيخ سيف بن حمود البطاشي بالعالم والفقيه، وإنه من أهل الحل والعقد في نهاية القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، والذي وصف في الفقه العماني بالأعرج، ومن نسل نبهان بن عثمان يتفرع بني المعمر الذين مازالوا إلى يومنا هذا يعيشون في الشمال من نزوى، وفي الوقت نفسه لم يستطع البطاشي تحديد أصول نبهان بن عثمان ،وأكد على جهله إلى أي قبيلة ينتمي إلا أنه أكد أنه هو جد بني المعمر المقيمين في شمال نزوى إلى الآن(البطاشي، ١٩٩٤، ١٣٨) ، وقد بينت بعض الروايات التي حواها كتاب بيان الشرع والذي وجدت بعض مخطوطاته مؤخراً، بينت حكم أسرة بني المعمر وبعض أعلامها أمثال أبي الحسن بن أبي المعمر ،وأبي عبد الله بن أبي المعمر ،ونبهان بن عمر بن أبي المعمر.

وقد بينت جداول الأنساب أن هناك ثلاث أسر تحمل اسم (النبهاني) وهي على اختلاف انسابها ومناطقها تنسب جميعها إلى جدها الأعلى نبهان بن عثمان بن أحمد، فأما الأسرة الأولى: فتنحدر من عمر بن ذهل بن نبهان بن عثمان ،وقد تمركزت تلك الأسرة في نزوى وبهلاء ومناطق الظاهرة سيطرت هذه على نزوى وبهلاء ومناطق الظاهرة ويعرفون بالملوك النبهانيين، في حين حكمت الأسرة الثانية منطقة سمائل، وأما الثالثة فتنتسب إلى يعرب بن

عمر، وقد حكمت شمالي جبل الحجر ،واستوطنوا الرستاق ونخل، وإلى هذه الأسرة الثالثة ينسب اليعاربة الذين حكموا عمان في المدة بين ١٦٢٤ إلى ١٧٤١م. (السالمي، ١٣٥٠هـ، ٣٠٤)

وقد أنتج هذا التوزيع لمناطق النفوذ والسيطرة بين أسر النباهنة تنافساً شبه إقليمي وحكومة لا مركزية، الأمر الذي صعب على المؤرخين تحديد السلطان الحائز على السلطة المركزية الذي تدين له القبائل بالولاء الكامل والذي تتسلسل منه الأسرة الحاكمة. وعلى العكس من ذلك فإن أن الحكومة المركزية والعاصمة المركزية في عصر الإمامة الأولى في عمان هو ما جعل تاريخ حكم الأئمة في تلك الإمامة معروفاً بدقة، فسهل على المؤرخين رصد الأحداث التاريخية ومعرفة العلماء المعاصرين وتتبع سيرهم. من هنا يتضح لنا أن الحكم المركزي ينتج حالة من السلم العام تتضح معه معالم الحياة السياسية والاقتصادية والفكرية، الأمر الذي يسهل معه كتابة التاريخ ،وتتبع شخوصهم ،وسيرهم ،وأعمالهم.

نزاع النبهانيين مع اليحمديين

من معالم النظام القبلي سيادة أسرة من أسر القبيلة وتوليها الحل والعقد والحكم في القبيلة إما لكبر عدد أفرادها وقوتهم أو لحكمتهم ورجاحة عقلهم. بالطريقة نفسها تتزعم قبيلة ما باقي القبائل المحيطة بها عبر الأحلاف التي يعقدها زعماء القبائل، وكلما كبرت تلك الأحلاف تضخمت معها الزعامة القبيلية، فتكون لـ «زعيم القبائل الأكبر» وهو قائد القبيلة والتي يدخل تحت لوائها باقي زعماء القبائل تكون له السيطرة الكاملة والسيادة ،فهو أشبه بشيخ الشيوخ في تلك القبائل.(Carter, 1982, 12)

انتقال السلطة من قبائل اليحمد إلى العتيك "النباهنة": أسس الإمامان راشد بن سعيد والخليل بن شاذان الإمامة الثانية في عمان في بداية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، وفيما يأتي نوضح عملية انتقال السلطة بين القبائل المتزعمة في عمان:

أولاً: في عام ٥٤٩هـ/١١٥٤م وبعد موت خردلة بن سماعة وأخيه جبر، تم انتخاب الإمام محمد بن أبي غسان والذي تشارك الإمامة مع الإمام محمد بن خنبش المتوفى عام ٥٥٧ هـ/١١٦٢م. وبعدها خاض الإمام محمد بن أبي غسان نزاعاً مع حاكم صحار السلطان النبهاني المرشد بن المرشد بن فلاح، وهو الأمر الذي دفع القبائل المتحالفة لدعم الإمام في صراعه ضد النبهانيين ولاسيما في منطقة الباطنة (ابن النظر، ١٩٨٨، ٨٨) ، كما تعهد علماء مدرسة الرستاق بنصرة الإمام محمد بن أبي غسان، وفي مقابل الدعم الذي تلقاه الإمام محمد بن أبي غسان، ساندت قبائل الجبور ونهد في منطقة الحسا السلطان المرشد بن المرشد (السيابي، ٢٠١٤، ١٣٢)

ثانيا: في نهاية القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي انتخب الإمام الخليل بن عبد الله بن عمر بن محمد بن الخليل بن شاذان الخروصي/اليحمدي للإمامة، فاستولى على نزوى والرستاق من قبضة النباهنة(السالمي، ١٣٥٠، ٢٤٦/١). ولعل هذا الصراع بين اليحمد والعتيك قد أنتج انقساماً في الولاءات القبلية لكلا القبيلتين.

ثالثاً: في عام ١٤٨٠/٨٨٥ أيد بنو رواحة في سمائل الموالين للنباهنة السلطان سليمان بن سليمان النبهاني ضد إمامة عمر بن الخطاب الخروصي فساعدوا على إنهاء مدة إمامته الأولى، غير أنه بعد عام واحد أعيد انتخابه إماماً ،وهزم السلطان سليمان ومناصروه من بني رواحة (السالمي، ١٣٥٠، ٢٥٩-٢٦٣). ثم عاد السلطان سليمان بن سليمان النبهاني للحكم بعد وفاة الإمام عمر بن الخطاب الخروصي، فاستولى على ممتلكات بني خروص في بهلاء، ثم ألحق بهم الهزيمة في الجبل الأخضر، فهرب شيوخهم إلى مدينة بوشر ووادي بني خروص في العلياء، ونتيجة لذلك انتهت زعامة قبائل اليحمد في الداخل ،والتي استمرت قرابة ثلاثة قرون.

رابعاً: بعد نهاية دولة النباهنة وفي بداية دولة اليعاربة، استطاع النباهنة استعادة قوتهم مرة أخرى فاجتمعوا تحت قيادة محمد بن الصلت، واتخذوا من الجبل الأخضر إمارة لهم، فكانوا أمراء الجبل الأخضر ووالاهم بني أريام بدلاً من بني رواحة في مطلع القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) وظلت لهم إمارة الجبل الأخضر حتى انتهت سطوتهم تماماً في عام ١٩٥٦. (السالمي، ١٣٥٠هـ، ٨٦).

قيام دولة اليعاربة وظهور أول مؤسس لها

على الرغم من أن السلطة السياسية للإمامة الإباضية لم تنجح في تجميع إقليم عُمان بأكمله حولها، إلا أنه لا يمكن لأحد أن ينكر أن الإسلام ومن بعده المذهب الإباضي قد نجحا في توحيد غالبية أهل عُمان. ولم ينجح أئمة الإباضية في تكوين حكومة مركزية تجمع تحت سلطاته عموم أهل عُمان، وقد يكون ذلك راجعاً لتساهلهم في تطبيق المذهب الإباضي، فاتسعت الشقة بين النظرة والتطبيق أو بين الواقع والمأمول، وعارض بعض زعماء القبائل سلطة الإمامة الإباضية ،واقتسمت معها النفوذ والسلطة، كما ادت التحالفات القبلية دوراً في إقصاء بعض الأئمة من السلطة (فوزي، ١٩٨٣، ٣٠١).

ولعل من أهم العوامل التي ساهمت في ضعف الإمامة الإباضية، ما عانته من انقسامات داخلية، وكذلك توريث الإمامة في قبائل بعينها من دون غيرها من القبائل، الأمر الذي أضعف الإمامة ،وأظهر قوة النباهنة على حسابها. ولقد شاب حكم النباهنة نقائص عدة حتى وصفهم الأزكوي بأنهم "ملوك أهل جور وفساد وظلم وعناد" وأنه ليس من بينهم إمام أو ملك عادل(السيابي، ٢٠١٤، ١٣٣/٣).

وقد استمرحال الانقسام والتفكك، فتناوب الإباضيون والنباهنة في السيطرة على عُمان ،فضلا عن زعماء آخرين مثل: الهلالية ،والهناوية ،وآل عمير ،وآخرين غيرهم.

كان هذا هو الواقع الذي عاشته عُمان حتى سنة ١٠٣٤هـ/١٦٢٤ م حين صعد اليعاربة إلى الحكم، وقد كان للإمام ناصر بن مرشد اليعربي الفضل الأكبر في إنقاذ الإمامة وبعثها من جديد بعد ما عانته من تدهور، وكان له اليد العليا في تخليص عُمان مما شهدته من فوضى سياسية، فوازن بين استعمال القوة والمساعي الدبلوماسية ،واستعمل كلاهما أداتين فاعلتين نجح عن طريقهما في بسط نفوذ الإمامة على القسم الأكبر من عُمان (ابن قيصر، ٢٠١٧، ١٠).

فضلا عن التمكين للإمامة في عُمان وتحقيق الوحدة بها، فقد نهض ناصر اليعربي إلى محاربة الغزاة البرتغاليين، وحقق انتصارات نسبية عليهم بعد أن هدد تحصيناتهم في مسقط وصور، كما شن هجمات أخرى ضد الفرس المحتلين في جلفار، كما استعمل مساعيه الدبلوماسية في الاتصال بالإنجليز والتفاوض معهم وكان هدفه من وراء ذلك تأجيج ضرب المحتلين الأوروبيين (البرتغاليين والإنجليز) بعضهم ببعض ليكون الرابح في النهاية عُمان(ابن قيصر، ٢٠١٧، ٥٤).

كما عمل الإمام ناصر اليعربي على الاستعانة باليمنيين والنزاريين بشكل متوازن بما يحقق الاستقرار والتآلف في حكمه، وكانت إنجازاته هي اللبنة الأولى التي بنى عليها خلفاؤه قوة عُمان البحرية التي جابت البحار من جنوب شرق آسيا وحتى السواحل الشرقية لإفريقيا (السالمي، ١٣٥٠هـ، ١٧).

لقد بذل الإمام ناصر اليعربي جهوداً مضنية برهن عن طريقها على قوته واستحقاقه الثقة التي حازها حتى صورته بعض المصادر التاريخية في صورة البطل المنقذ الذي أنقذ عمان ،ونهض بهيبة الإمامة من جديد ،وحقق الكثير من آمال العُمانيين وتطلعاتهم قبل وفاته، حتى قال عنه المستشرق البريطاني باثيرست:("كانت الإمامة من أركان المجتمع العُماني منذ سنة ١٣٢هـ/٧٥٠م، وقد وضعت موضع التطبيق خلال القرون التالية للقرن الثاني الهجري الثامن الميلادي، ولا بد لأي باحث في تاريخ عُمان أن يتناولها ويوضح تأثيرها مثلما يتناول تأثير القبيلة وتحالفاتها، والبحر وتجارته على أهل عمان"((باثيرست، ٢٠١٤، ١٢٦).

وبالنظر إلى تلك الجهود التي بذلها ناصر بن مرشد اليعربي للنهوض بالإمامة مرة أخرى، يظهر جلياً تأثير السياسة القبلية في تلك المدة على التوجهات السياسية، فلم يكن الانتخاب وحده كافياً لتنصيب الإمام، وضمان استتباب الحكم وسيادة القانون، ولكن القوة ودعم القبائل للإمام أدت دوراً كبيراً في التمكين للإمام، وبسط نفوذه على المناطق المهمة

والحيوية وسط عمان حتى تخضع له على أثرها باقي الأحياء والأماكن البعيدة (ابن قيصر، ٢٠١٧، ٤٣).

ومن بين العوامل التي ساعدت على إقامة دولة اليعاربة في عمان هزيمة البرتغاليين وطردهم من هرمز سنة ١٠٣٥ هـ/ ١٦٢٢م على يد الصفويين والإنجليز، ذلك أن تلك الهزيمة شجعت العمانيين على الإسراع لإقامة دولة اليعاربة والتوحد تحت الإمامة الإباضية بهدف مجابهة البرتغاليين لطردهم من سواحل عمان كما تم طردهم من قبل من هرمز.

وإلى جانب تلك الهزيمة التي لقيها البرتغاليون في هرمز ،والتي كانت السبب المباشر في إسراع العمانيين للسعي نحو التوحد تحت الإمامة الإباضية، فثمة عوامل أخرى ساعدت على ذلك، أهمها: انعدام الأمن والاستقرار في دولة النباهنة وتفككها إلى مدن وإمارات مستقلة، الأمر الذي حدا ببعض الفقهاء والعلماء إلى الدعوة لتوحيد عمان للوقوف في وجه الغزو البرتغالي، وكان على رأس هؤلاء الشيخ خميس بن سعيد الشقصي، فما إن مات السلطان مالك بن أبي العرب اليعربي واتسعت فجوة الفراغ السياسي في الرستاق، حتى قاموا باختيار إمام لهم وهو ناصر بن مرشد (حفيد مالك اليعربي) (الأزكوي، ٢٠٠٦، ٣٦٥).

- جهود الإمام ناصر لتوحيد عُمان:

لقد كانت السيطرة على قلعة نزوى (البوابة الإعلامية لسلطنة عمان، ٢٠١٤) أو بهلاء من الأمور الهامة بالنسبة للإمام ناصر في سعيه لبسط نفوذه وإحكام قبضته على أحد مراكز حكم الإمامة وسط عُمان. ولعل أهمية ذلك تكمن في إمكانية استعمال هذا المركز كقاعدة لشن حملاته مستقبلاً، وكان نجاح ذلك مرهوناً بمدى امتلاكه للقوة الكافية لهزيمة الملوك المحليين الأقوياء.

وإزاء ذلك لم يكن للإمام ناصر مندوحة عن الاستعانة بدعم القبائل ولا سيما قبيلته (اليعاربة) التي كانت تستولي على قلاع نخل والرستاق، غير أنه في سبيل السيطرة عليهم كان مجبراً على استعمال القوة، تزامن ذلك مع عدم قدرته على اعتماد أقاربه لدعمه. فكان البديل الأنسب هو السعي للحصول على تأييد القبائل اليمانية التي تشترك في الأصل والجذور مع قبيلته اليعاربة (السيابي، ٢٠١٤، ٣/١٤٤).

وعلى الرغم مما كان بين الإمام وبين بعض القبائل اليمانية من صلات تقارب، إلا أن تلك الصلات لم تمكنه من اعتمادهم، والاستعانة بمددهم لدعم حملاته ضد القبائل الأخرى سواء النزاريين أو ذوي الأصول اليمانية، وكان البديل الأمثل بالنسبة له هو استمالة زعماء القبائل بتنصيبهم حكاما على المدن الإقليمية التي تم الاستيلاء عليها. وبالفعل بدأ ناصر اليعربي تحركاته، فسار أولاً نحو الرستاق، واستطاع بمساعدة قبائل اليحمد (اليمانية) الاستيلاء على قلعتها، ثم تمركز فيها ،وجعل منها قاعدة له حتى تمت له السيطرة على

وادي فراء، ثم عمد إلى قلعة (نخل) فحاصرها ولم تصمد أمامه غير أيام قليلة حتى استسلمت وعين والٍ عليها (ابن قيصر، ٢٠١٧، ١٦).

وإزاء سيطرة البرتغاليين على المدن والموانئ الساحلية، لم يكن أمام ناصر اليعربي حين رغب في التوسع إلا أن يتوجه إلى الداخل وسط عمان، ولاسيما منطقة الجبل الأخضر التي سيطرت عليها قبيلة "بنو ريام"[٣] (السيابي، د.ت، ١٣٤).

وعند النظر إلى خريطة النفوذ والسيطرة القبلية في الداخل العماني في هذا الوقت نجد أن ناصر اليعربي كان لابد له من المرور عبر أودية سمائل وبني رواحة وحلفين سالكاً الطريق الفاصل بين الحجر الغربية والشرقية، مروراً بنقطة استراتيجية مهمة هي قرية سمائل التي كانت تحت سيطرة مانع بن سنان العميري خليفة عمير بن حمير العميري، وهو الذي كان له دور محوري في هزيمة النبهانيين. وفي وسط عمان أيضاً كانت توجد قرية إزكى ذات الموقع الإستراتيجي المهم، والتي ازدحمت من زمن طويل بسكان ينتمون إلى "بني رواحة ، وبني ريام". كما كانت كل من بهلاء وبلاد سيت في الوسط العُماني تحت سيطرة سيف بن محمد الهنائي، والذي شارك أيضاً ولو بشكل جزئي في هزيمة النبهانيين(السيابي، ٢٠١٤، ١٤٥).

تقدم الإمام ناصر في قوة من رجال قبائل اليحامدة صوب قرية الصمد (على بعد ميلين شمالي نزوى)، وذلك بعد أن دعاه سكان نزوى للقدوم وبسط سيطرته عليها، إلا أنه ما لبث أن عاد إلى الرستاق بعد أن عسكر هنا لليلة واحدة حين لم يحصل على دعم من حامية القلعة (السالمي، ١٣٥٠، ٣/٢).

تقدم ناصر اليعربي صوب سمائل، على إثر زيارة قام بها أحمد بن سليمان الرواحي ووفد من ملك سمائل الذي عرض عليه حكم سمائل ووادي بني رواحة. وعلى الرغم من خلو الروايات من ثمة شروط لهذا العرض إلا أنه من الجلي أن اتفاقاً تم مع مانع بن سنان وبني رواحة، مع استبعاد قبولهم السيطرة التامة للإمامة اليعربية. وعلى ذلك سار ناصر إلى سمائل برفقة القاضي خميس ورجال قبيلة اليحامدة، وانضم إليه في الطريق بعض أفراد مدينة إزكى فواصلوا السير نحو نزوى التي فتحت له أبوابها من دون مقاومة(ابن قيصر، ٢٠١٧، ١٧). وليس من المعلوم سبب تغير موقف سكان نزوى تجاه قدوم ناصر اليعربي، إلا أن أغلب الظن وفقاً لبعض الروايات انحياز عدد من سكان نزوى لناصر لإعجابهم بحكمته ونجاحه في اجتياز وادي سمائل ووصوله إلى الداخل. تمركز ناصر في الجنوب من

[٣] بنو ريام قبائل ملتفة على عمود ريام هذا، من توبي ودغيشي وجامودي، وعمري وعموري وشريقي وسليمي وراشدي ونبهاني وحضرمي. فبنون ريام على هذا الوضع أخلاط يمانية غالبًا، إلا العزور، على ما عرفت من نسبهم، وإلا الكنود، وإلا بنو قريش، وإلا السراحنة ومن إليهم.

نزوى في منطقة (العقر) والتي كانت مركزاً للعديد من الأئمة السابقين. وكان على ناصر قبل أن يشرع في إقامة الإمامة في قلب عُمان وتأسيس حكومة مركزية، كان عليه أولاً أن يقضي على تمرد أسرة "بني بو سعيد" وهي من الأسر المهمة والقوية في العقر، فاستطاع التعامل معهم ،وإبعادهم من نزوى من دون أي قتال، ثم استسلمت "منح" التي تقع على بعد أميال من نزوى، الأمر الذي كان داعماً لتأمين عاصمة الإمامة (ابن قيصر، ٢٠١٧، ٢٣).

اعتمد ناصر في بسط سيطرته على وسط عُمان السيطرة على الحصون من ثلاث جهات في المناطق الجبلية وسط عُمان، وفي سبيل ذلك استعمل طريقين: الأول: هو السيطرة المباشرة على الحصون، والطريق الثاني: هو عقد التحالفات مع أصحاب تلك الحصون المسيطرين عليها، وبقي له إخضاع بني هناءة في بهلاء وحصون آل هلال المنتشرة على طول جبال الحجر، وكذا قبيلة الجبور.

توالت نجاحات ناصر في بسط سيطرته على وسط عُمان، إذ تواصل معه سكان (سمد الشأن) على الطريق الذي يمتد بين الشرق والباطنية، معربين عن رغبتهم في الدخول تحت حكمه، فأرسل جيشاً بقيادة الشيخ مسعود بن رمضان، سيطر على المدينة وانتزعها من ملكها "علي بن قطن الهلالي"، ثم أعلن سكان إبراء ولاءهم لناصر اليعربي، فسيطر عليها من ملكها محمد بن جيفر الهلالي، وكان نتيجة ذلك أن استسلمت المنطقة الشرقية بأكمها عدا المناطق التي كانت لا تزال في أيدي البرتغاليين وهي صور وقريات (السالمي، ١٣٥٠هـ، ٤/٢)

كانت العاصمة السابقة للنبهانيين (بهلا) هي المحطة المنطقية التالية لناصر اليعربي، وكانت بهلا تحت سيطرة الملك سيف بن محمد، وبالفعل أرسل ناصر قوة لمهاجمة المدينة، غير أن الهجوم باء بالفشل وعادت القوة إلى نزوى على إثر شقاق حدث في صفوفهم هناك **(السيابي، ٢٠١٤، ١٤٧)**، وهو الأمر الذي يتجلى معه صعوبة هزيمة الملوك المحليين في عقر دارهم وفي أراضيهم الخاصة.

وإزاء عدم نجاح السيطرة على بهلاء كان على ناصر اليعربي العمل على تجنب معارضتهم ،وتأمين جانبهم، فسار إلى الظاهرة في قوة كبيرة وسيطر على وادي فداء وأقام فيه حصناً تمركز فيه، ثم استسلم له سكان شمال ضنك فكان له بذلك أو قاعدة في الظاهرة، وبدأ في تمشيط المناطق التي خضعت له، إلى أن وصل إلى الجبل الأخضر حيث التحق به مؤيدوه من بني ريام الذين كان يسيطرون على الجبل الأخضر في ذلك الوقت (ابن قيصر، ٢٠١٧، ٢١)، وبذلك أصبح بإمكانه التعامل مع القبائل المعارضة له على الجانب الآخر من جبال الحجر الغربي بعد أن انحاز له بنو ريام فأصبح بمقدوره اعتمادهم واستعمال الطرائق المرة عبر الجبل الأخضر للتعامل مع معارضيه من تلك القبائل.

سيطر الإمام ناصر على وادي سمائل وسمد الشأن فأمن بذلك طريق الوصول إلى عجلان والسهول الشرقية، كما امتدت سلطته إلى منطقة الحجر الشرقية بأكمها عدا أجزاء بسيطة منها، كما امتدت سيطرته إلى (إبراء) فسيطر بذلك أيضاً على القبائل والقرى المحيطة بتلك المنطقة. وبسط الإمام سيطرته في الحجر الغربي على النطاق الجبلي وصولاً إلى وادي ضنك ما عدا "عبري" و "بهلاء"، في الوقت الذي سيطر فيه البرتغاليون على الموانئ الساحلية.

أما بالنسبة لمعارضي الإمام ناصر، فقد تمركزت المعارضة في منطقة بلهاء وانحصرت في آل هلال وحلفائهم من قبائل (جبور، وآل الريس، وبنو هناءة)، في حين وقف مانع بن سنان العميري موقفاً محايداً فلم يشكل جبهة للمعارضة في حين لم يكن مؤيداً للإمام في الوقت نفسه .

فأما عن آل هلال، فقد اعتمد الإمام ناصر حلفاءه الجدد من قبيلة المعولي، الذين سهل تأييدهم له الطريق أمامه للمرور عبر وادي المعاول إلى نخل ،وإيقاف نشاط القوة الهلالية (السيابي، ٢٠١٤، ١٤٧/٣).

تزايد الحلفاء من حول الإمام ناصر، فانضم إليه الشيخ خميس بن رويشد في ضنك العليا، وعرض مساعدته في إخضاع الظاهرة، كما انضم إليه رجال من الصير ومن قبيلة الدهاكي لدى سيره في جيش إلى الصخبري، وبذلك تجمعت للإمام ناصر عوامل القوة والدعم ما جعل الفرصة سانحة لإخضاع الصير واستردادها من معارضيه من ملوك قبيلتي (آل هلال، وجبور) (ابن قيصر، ٢٠١٧، ٢١).

تحرك الإمام نحو حصن الغبي الذي تجمعت فيه آل هلال ببدوهم وحضرهم، غيره أنه لم يتمكن من الاستيلاء على الحصن ،وقتل أخوه جاعد في معركته هناك، فواصل المسير نحو عبري فاستولى عليها بسهولة (ابن رزيق، ٢٠٠١، ١١٥)، ثم أردف عائداً بعد يومين إلى الصخبري ،فضرب حصاراً على حصن الغبي، واستولى عليه ،وولى عليه وعلى مناطق الجوار الشيخ خميس بن رويشد، وبذلك انتهت مقاومة آل هلال، وأما عن قبيلة جبور، فقد استسلمت قرقة "بات" التي كانت تحت سيطرة قبيلة جبور، وعين الإمام والياً عليها هو محمد بن سيف الحوقاني.

وما إن بسط الإمام سيطرته على عبري والغبي وبات بمنقطة الصير، حتى خضعت له باقي المناطق بالظاهرة، ففوض اثنين من الولاة عليها، وبذلك لم يبق خارج نطاق سيطرة الإمام سوى الجزء الشمالي الغربي من وادي الضنك ومناطق متفرقة في مقنيات وبهلاء.

غير أن المعارضة لم تنته عند هذا الحد، فقد واصلت فلول البدو من قبيلة آل هلال معارضتهم للإمام، وجعلوا من الأفلاج بالقرب من ضنك مركزاً لهم، فاشتبكوا مع قوات الإمام

بالقرب من منطقة الدير، فحاصرت قوات الإمام حصن قطن بن قطن وسلبوا إبله، فعرض عليهم تسليم الحصن إذا أعادوا إليه الإبل، وقبلت قوات الإمام ذلك فاستسلم الحصن ،وعُين قطن والياً على البلدة.

ثم توجهت قوات الإمام إلى مقنيات فحاصرت معقل قبيلة جبور، التي استعانت برجال من آل هلال وآل الريس لمواجهة قوات الإمام، ولكن النصر كان حليفاً لقوات الإمام الذي توجه بعد ذلك مرة أخرى صوب بلهاء، فحاصرها شهرين، حتى استسلم قائدهم سيف بن محمد ومن معه من بني رواحة سُمح لهم بمغادرة الحصن، فانتقلوا لإقامة حسن آخر في بلاد سيت (ابن قيصر، ٢٠١٤، ٢٧).

توجه الإمام بعد ذلك إلى سمائل، تلك المدينة الكبرى التي كانت لا تزال خارجة عن سيطرته، فلما شارفها بجيشه استسلم مانع بن سنان فوراً، وأعلن ولاءه للإمام والتمس البقاء في القلعة، فوافقه الإمام على ذلك، ثم ولى وجهه قبل مقنيات التي كان من الضروري إخضاعها، فاستحوذ عليها بعد أن حاصرها قرابة ثلاثة أشهر (ابن قيصر، ٢٠١٧، ٣١).

استمرت المقاومة على أشدها ،وكاد الإمام أن يتلقى هزيمة خطيرة حين تحالف رجال من قبيلة جبور مع سعيد الخيالي وقبيلته(السالمي، ١٣٥٠هـ، ٦) فدخلوا مدينة الصخبري ،وقتلوا عددا من جنود الإمام، وأجبروا جيش الإمام الذي جاء للنجدة على الاحتماء بحصن الغبي، وحاصروا الجيش بداخل الحصن، ودخلت المنطقة في صراع قبلي عنيف، وكاد الإمام يتلقى هزيمة عنيفة، لولا الدور الخطير الذي قام به والي مقنيات الجديد محمد بن علي، الذي هاجم مقاتلي "جبور" في قوة حشدها من دون أن يعلم به أحد، فهزمهم، وشتتهم ففر عدد منهم إلى الصحراء في حين انحاز بعضهم إلى الملك الهلالي ناصر بن قطن (السيابي، ٢٠١٤، ١٤٩).

وعلى إثر تلك الانتكاسة الخطيرة ثار مانع بن سنان صد الإمام وحشد قوة بالتعاون مع محمد الهنائي، فدخلا نزوى ،واستوليا على العقر وحاصرا الإمام في القلعة، واشتد الحصار حتى كاد رجال مانع وسف بن محمد يخترقون جدار الحسن، فوصلت إمدادات من بني ريام ومن مدينتي أزكى وبهلاء، فهزمت المحاصرين، وقتلت منهم خلقاً كثيرا ،وتفرق الباقون، الأمر الذي جعل الإمام يرسل قوة إلى سمائل لتسوية قلعتها بالأرض، إذ ضاق صدره بمشكلات مانع.

وبعد فراره إلى فنجاء قضى مانع بعض الوقت مع البرتغاليين في مسقط ،ثم ما لبث أن توجه صوب لوى بالقرب من صحار، فانضم هناك إلى محمد بن جيفر الهلالي ،وهو أحد أعداء الإمام ،والذي كان قد استوى على تلك المدينة من قبل(ابن رزيق، ٢٠٠١، ١١٧).

استسلمت بقية القبائل في وسط عُمان وخضعت لسيطرة الإمام، ما أمكن الإمام من استكمال عملياته لإخضاع منطقة الظاهرة، والقضاء على فلول آل هلال ،وقد تم له ذلك بعد أن سير ثلاث حملات: أولها: قادها الإمام والقاضي خميس بن سعيد، توجهت إلى حصن ينقل الذي كان تحت سيطرة ناصر بن قطن الهلالي، فاستسلم الحصن بسرعة خاصة ،وإن الهلاليين لم يحصلوا على أي دعم من حلفائهم من الجبور وآل الريس (السالمي، ١٣٥٠هـ، ١٢).

وأما الحملة الثانية: فأرسلها الإمام إلى مدينة الجو (توام) بقيادة الشيخ عبد الله بن محمد النزوي، فاستولى على المدينة من الهلاليين.

ثم شنت ذات القوة الحملة الثالثة، على حصن لوى الذي تجمعت فيه فلول أعداء الإمام، وأسفرت الحملة عن مقتل الملك الهلالي محمد بن جيفر فأذعن ابنه، وصالح الإمام بوساطة من اليحامدة. عبر وساطة اليحامدة (ابن قيصر، ٢٠١٧، ٤١).

وترى الباحثة أن سقوط حصن لوى دانت سيطرة الإمام ناصر اليعربي على عمان، مما أدى لتحطم أنياب المعارضة وانتهت خطورتها، وتكللت بالنجاح جهوده لتوحيد عُمان ،وترسيخ الإمام اليعاربية فيها، فقد خضع جميع الملوك للإمام وجُردوا من أملاكهم، كما دانت بالولاء لجميع القبائل تقريباً، الأمر الذي جعله يوجه اهتمامه للبرتغاليين الذين عملوا على مساعدة معارضيه بالإمدادات ،والمؤن ،والملجأ.

النتائج:

- من أهم أسباب الغزو البرتغالي لعمان الاستيلاء على ثروات تلك البلاد، والتمتع بالمكانة العظيمة للموقع الجغرافي لتلك البلاد، إلى جانب التخلص من سيطرة التجار الإيطاليون والعرب المسلمين على طرق التجارة. ،وكان نتيجة تحكم البرتغاليين في طرق التجارة إيذانًا بزوال السيادة الإسلامية على التجارة بين أوروبا والشرق الأقصى، وليس ذلك فحسب، وإنما كان ذلك إيذاناً بانطلاق الشرارة الأولى ،ووضع أولى لبنات الاستعمار الأوروبي للمشرق العربي والإسلامي في العصر الحديث .
- بذل الإمام ناصر اليعربي جهوداً مضنية برهن فيها على قوته ،واستحقاقه الثقة التي حازها حتى صورته بعض المصادر التاريخية في صورة البطل المنقذ الذي أنقذ عمان، ونهض بهيبة الإمامة من جديد ،وحقق الكثير من آمال العُمانيين وتطلعاتهم قبل وفاته.
- كان للأسطول البحري الضخم الذي أعده اليعاربة دوراً مهماً في التفوق البحري اليعربي على الأسطول البرتغالي وخروجهم من عمان.

الخاتمة:

تناول البحث الأحداث التي سبقت ظهور الدولة اليعاربية، وكيفية انتهاء دولة النباهنة ،والأسباب التي أدت لذلك، كما تعرض للاحتلال البرتغالي، وكيفية توغله في الخليج العربي، وكيفية بسط نفوذه واحتلاله لعمان، كما تعرض للأمام ناصر اليعربي، وكيفية توحيده عمان تحت راية واحدة وطرده للبرتغاليين، لكي تصبح عمان من البلدان القوية في المنطقة.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر

ابن إياس، زين العابدين محمد بن أحمد. (١٩٦٠). بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

الأزكوي، سرحان بن سعيد. (٢٠٠٦). كشف الغمة، دار صادر، بيروت.

التكريتي، سليم طه. (١٩٦٦). الصراع على الخليج العربي، وزارة الثقافة والإرشاد، بغداد.

ابن حبيب، أبو جعفر محمد. (٢٠٠٩). المحبر، تحقيق: إيلزه ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

ابن حزم، علي سعيد الأندلسي. (١٩٤٨). جمهرة أنساب العرب، تحقيق: ليفي بروفنسال، ط.القاهرة.

الحيدري، إبراهيم. (١٩٦٦). صورة الشرق في عيون الغرب: دراسة للأطماع الأجنبية في العالم العربي، دار الساقي، بيروت.

الحموي، ياقوت. (١٩٨٦). معجم البلدان، ج٢، دار صادر، بيروت.

ابن رزيق ، حميد بن محمد .(٢٠٠١) . الفتح المبين السادة البوسعيدين ، مسقط .

العوتبي ، ابن المنذر سلمى بن مسلم .(١٩٨٤). الأنساب، ج٢، وزارة التراث الوطني والثقافة ، مسقط.

بن قيصر ، عبدالله بن خلفان .(٢٠١٧) . سيرة الإمام ناصر بن مرشد ، تصحيح : عبدالمجيد حسيب القبيسي ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ط٣ .

المليباري ، الشيخ أحمد زين الدين المعبري .(١٩٨٥) تحفة المجاهدين في أحوال البرتغاليين ، تحقيق : محمد سعيد الطريحي ، مؤسسة الوفاء ، بيروت–لبنان .

ابن النظر ، أبي بكر أحمد .(١٩٨٨).الدعائم ، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان .

ثانياً: المراجع:

الأسرة اليعربية. (٢٠١٤). ترجمة و تعليق فاروق عمر فوزي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان.

باثيرست، ر. د. (٢٠١٤). تاريخ اليعاربة في عمان : قراءة في طروحات المستشرق الإنكليزي ر .د باثيرست ترجمة و تعليق: فاروق عمر فوزي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان.

البطاشي، سيف بن حمود. (١٩٩٤). إتحاف الأعيان في سيرة بعض علماء عمان، ج١.

ديل، شارل. (١٩٧٤). البندقية جمهورية أرستقراطية، ترجمة توفيق إسكندر، الجمعية الملكية للدراسات التاريخية، القاهرة.

الرحبي، أحلام محمد. (٢٠١٤). الامامة والصراع على السلطة فى عمان أواخر دولة اليعاربة، رسالة ماجستير منشورة، بيت الغشام للنشر والترجمة، سلطنة عمان.

السالمي، عبد الله بن حميد(١٣٥٠هـ). تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، ج١، صححه وعلق عليه: أبو إسحاق، إبراهيم طافش الجزائري، مطبعة الشباب، القاهرة.

السيابي، سالم بن حمود بن شامس. (١٤١٤). إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان، ج١، المكتب الإسلامي، بيروت.

السيابي، سالم بن حمود بن شامس. (٢٠١٤). عمان عبر التاريخ، ج٣، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان.

السيار، عائشة. (١٩٧٥). دولة اليعاربة في عمان وشرق أفريقيا ١٦٢٤، ١٧٤١، بيروت.

السيد، محمود. (٢٠٠٤). تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.

العجيلي، غانم محمد رميض. (٢٠١٤). فصول في تاريخ الخليج العربي والجزيزة العربية الحديث والمعاصر، الدار العربية للموسوعات، بيروت.

فوزي، فاروق عمر. (١٩٨٣). الخليج العربي في العصور الإسلامية، دار القلم، دبي.

قاسم، جمال زكريا. (١٩٩٦). تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، المجلد الأول، القاهرة.

كلي، جون ، بريطانيا والخليج ١٧٩٥، ١٨٧٠، ترجمة محمد أمين عبد الله، ج١، وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان، ١٩٧٩.

لامنس، هنري. (١٩١١) المذاكرات الجغرافية في الأقطار السورية، المطبعة الكاثوليكية، بيروت.

لوريمر، ج. ج. (١٩٧٥). دليل الخليج ، ج١، مكتبة أمير قطر، الدوحة.

لوكمان، زكاري، تاريخ الاستشراق وسياساته– الصراع على تفسير الشرق الأوسط، ترجمة: شريف يونس، دار الشروق، القاهرة.

مايلز، س. ب. (د.ت) الخليج بلدانه وقبائله، ترجمة محمد أمين عبد الله، الطبعة الثالثة، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان.

مجموعة من المؤلفين. (١٩٩٨). موجز دائرة المعارف الإسلامية، مج٢٠، مركز الشارقة للإبداع الفكري.

النعيمي، نغم طالب عبدالله. (٢٠٠٥). العلاقات الخارجية لدولة اليعاربة في عمان ١٦٢٤ – ١٧٤٧، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، العراق.

ويلسون، أرنولد. (١٩٨١). تاريخ الخليج، ترجمة محمد أمين عبد الله، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان.

ثالثاً: المواقع الإلكترونية:

سعد الله، أبو بكر خالد. (مايو ٢٠٢٢). حقائق وأكاذيب حول مؤسس علم البحار أحمد بن ماجد النجدي (القرن ٩/٨ هجري)، مجلةالرافد، الشارقة، تم الدخول بتاريخ ١٠-١١-٢٠٢٤، على الرابط https://arrafid.ae/Article-Preview?l=2zqBvraXfzk%3D&m=5U3QQE93T%2F0%3D

البوابة الإعلامية لسلطنة عمان تم الدخول بتاريخ٢٠-١٠-٢٠٢٤ على الرابط. https://www.omaninfo.om/mainsections/101/show/5

رابعاً: المراجع الأجنبية:

Carter, J. R.(1982). L,Tribes in Oman. London: Peninsular Publishing, distributed by Scorpion Publications Ltd.

G. R, Badger.(1871). History of Imams and Seyyieds of Oman by Salil ibn Ruzaq, London.

George E. Kirk. (1964). A Short History of Middle East, London.

Wilkinson, J. C. (1973). Arab-Persian land relationship in late Sasanid Oman. Proceedings of the Seminar for Arabian Studies 3.

Wilkinson, J. C. (1987). The Imamate Tradition of Oman. Cambridge: Cambridge University Press.

Wilkinson, J. C. (1975). The Julanda of Oman. Journal of Oman Studies.

Kellyn John. (1968). Britain and the Persian Gulf 1795- 1880, London.

Miles, Samuel. (1919). The Countries and Tribes of the Persian Gulf, Vol. II., London.

Strenziok, G. Azd. (1960). Encyclopedia of Islam (New Edition). Leiden: Brill.

Wendel Phillips(1967). Oman. A History, London.

Bathurst, R. D. (2014). The History of the Ya'ariba in Oman: A Reading of the Works of the English Orientalist R. D. Bathurst. Translated and annotated by Farouk Omar Fawzi. Majdalawi Publishing and Distribution House, Amman.

Al-Batashi, Saif bin Hamoud. (1994). Ithaf al-A'yan fi Sirat Ba'd Ulama' Oman, Vol. 1.

Dale, Charles. (1974). Venice: An Aristocratic Republic. Translated by Tawfiq Iskandar. Royal Historical Society, Cairo.

Al-Rahbi, Ahlam Muhammad. (2014). The Imamate and the Struggle for Power in Oman during the Late Ya'ariba State. Published Master's Thesis. Bait al-Ghasham Publishing and Translation, Sultanate of Oman.

Al-Salimi, Abdullah bin Hamid (1350 AH). Tuhfat al-A'yan bi Sirat Ahl Oman, Vol. 1. Edited and annotated by Abu Ishaq, Ibrahim Tafesh al-Jaza'iri. Al-Shabab Press, Cairo.

Al-Siyabi, Salem bin Hamoud bin Shams. (1414). Is'af al-A'yan fi Ansab Ahl Oman, vol. 1, Al-Maktab al-Islami, Beirut.

Al-Siyabi, Salim bin Hamoud bin Shams. (2014). Oman Through History, vol. 3, Ministry of Heritage and Culture, Sultanate of Oman.

Al-Sayyar, Aisha. (1975). The Ya'ariba State in Oman and East Africa 1624-1741, Beirut.

Al-Sayyid, Mahmoud. (2004). History of the Ottoman State and its Civilization, University Youth Foundation, Alexandria.

Al-Ajili, Ghanem Muhammad Rumaidh. (2014). Chapters in the History of the Arabian Gulf and the Arabian Peninsula, Modern and Contemporary, Arab House for Encyclopedias, Beirut.